الذي تكشف بهِ هذه المادة ولو كانت نسبتها الى السائل الذي اذيبت فيهِ واحداً من مئة مليون . وكان الجواسيس الالمان اذا ارادوا الكتابة غمسوا هذه المناديل في الماء ثم كتبوا

وزاد المسيو بايل على ذلك انهُ اكتشف طريقة للكتابة السرية واطلع وزارة الحربية الفرنسوية عليها وحدها دون غيرها . ولا يمكن كشف الكتابة بها الاَّ باستعمال اربعة كواشف مختلفة وبترتيب معلوم بحيث اذا استعمل كاشف قبل آخر على خلاف الترتيب المعلوم لم تظهر الكتابة

وترى في هذا الرسم صورة كتاب وجد مع جاسوس المانيا . فالى اليسار صورة الكتابة على ما وجدت والكلام فيها تجاري صرف . والى اليمين صورة الكتابة بعد كشفها وبين سطورها كلام يتعلق بساحات القتال

السارق المسروق

ايها اللصوص المحترمون .

بنفي والعهدة على الراوي انكم طرقتم بيت هذا العاجز بل بيتكم الاصغر في القدس في ليلة ظلماء ذات اندية فسرقتموهُ فان صح الخبر فاني عاتب وشاكر

اعتب لانكم طرقتم البيت ونحن غائبون في مصر كاني بكم قد اعتقدتم اننا ادنياء الحرص لا يخرج من حظائرنا خير فلو سئلنا التراب لاوشكنا اذا قيل هاتوا ان نقلّ ونمنع كما قال الشاعر . فخفتم ان نرتعونا ونحن فيهِ ان تأخذنا الحفيظة فنبادر الى السلاح فنردكم ردًّا غير جميل و نثنيكم على وجوهكم تتعثرون باذيال الخيبة هذا اذا لم نظفر بكم فنوثقكم كتافاً ونسُقكم كالاسارى الى حيث يقتص منكم عما اجترحتم بالليل لا بالنهار . اذا كان هذا اعتقادكم فانتم غالطون واهمون وتلك اهانة لا نقبلها منكم . لو اخرتم زيارتكم الى ان نرجع لفتحنا لكم الابواب على مداها بدلاً من ان تكسروها وقدمنا لكم التالد والطريف والثقيل والخفيف واعتذرنا اننا متصرون . لو حصل لي الشرف ان اكون لصًّا لما دخلت بيتاً واهلهُ غائبون . ان تسرقوا البيوت برغم انوف اصحابها وكلابها ذلك اشرف لكم لو كنتم تدرون واشكر اولا لانهُ في الليلة التي شرفتم بيتي في القدس كنت في مصر اركض

من محل الى آخر افتش عن طبيب يسعف ولدي الذي اشتدت عليهِ وطأة الحمى القرمزية القتالة فلما بلغني انكم سرقتم بيتي فزعت الى التفاؤل . كأن الاقدار كانت تهددني بشر مستطير فصرفتموهُ عن ولدي الى بيتي فكنتم الشاري (فضيب الصاعقة) تتلقى بهِ الصواعق ولو لم يكن لكم الا هذه المنة لكفى

واشكر ثانياً لانكم اعلمتم بعملكم هذا ان لي بيتاً يسرق . يشركم الله بالخير لقد صرت استطيع ان اتوهم ولو مرة في العمر اني كنت على شيء من هذه الدنيا يطمع اللصوص فيَّ . واذا كان العرب في قديم الزمان يتجملون بكثرة الرماد كناية عن الكرم فانني اتجمل اليوم بان بيتي مطمع اللصوص كناية عن الغنى . وقد استرسل في الوهم فاتصور انهُ كان لي بيت وكان مملوءاً بالتحائف والطرائف وكان في خزانتهِ الحديدية الضخمة اوراق مالية وسندات ولكن لي لا عليَّ وآنية من الفضة والذهب من صحاف وملاعق وكؤوس وطاسات وابارين . بل قد اتوهم انهُ كان عندي امانات وودائع كثيرة من نقود وعقود اودعنيها الناس عن ثقة منهم ان بيتي حرز حريز بفضل الحكومة الساهرة التي لا تاخذها سنة ولا نوم . . . قبل ان تسرقوا بيتي لم اكن لاطمع ان املك في هذه الدنيا شيئاً لا كثيراً ولا قليلا فكأنكم حين سرقتموهُ ملكتموني ما لا املك . ولست اكتمكم انهُ ليس من مصلحتي ان افتش عنكم بل لو عرفتكم لتغاضيت عنكم فليطمئن بالكم لاني احب ان اظل على وهمي الجميل انهُ كان لي بيت فسرق . ان املك فاخسر خير من ان لا املك شيئاً ابداً . . لا شك انهُ لم يدفعكم الى سرقة بيتي الاَّ الحاجة ويا حبذا لو وجدتم فيهِ حاجتكم ولكن ما احراكم ان تتوهموا انتم بدوركم كما توهمت انا بدوري انهُ صار في مقدوركم ان تأكلوا اطيب المأكولات وتلبسوا انفر الثياب وتقتنوا انعم العربات والسيارات من فضل هذا العاجز تشبهاً بكثيرين من اللصوص الذين يسرقون كل يوم ثم يوهمون الناس ولا يستحون انهم من الطبقة الراقية وانهم لم ينتموا الاَّ بفضل ما اكتسبوا من الحنكة والدربة وما رزقوا من الهمة العالية ولا فرق بينكم وبينهم الاَّ انكم لصوص الليل وهم لصوص كل ساعة

اتعرفون لماذا لم تجدوا في بيتي شيئاً يحرص عليهِ او يطمع فيهِ ؟ ليس ذلك على الله عن صغر في النفس ورضى طوينا . ليس عن تلكؤ في النهضة ووناء في العزيمة . ليس عن تعثر في الجد ونحاسة في الطالع . ليس عن تخلف في الذهن

وعمى في البصيرة وإنما ذلك لانكم لستم اول من سرقني . لقد تقدمكم كثيرون لم يبقوا ولم يذروا . لم ازل عرضة لهجمات اللصوص منذ عرفت هذا الوجود . انتم سرقتم بيتي وليس فيهِ ما يجدي عليكم او آسف عليهِ واما هم فقد سرقوا قواي ومواهبي . سرقوا شبابي ونشاطي واخلاصي وتعبي . سرقوا اجتهادي واستحقاقي

لقد سرقني هذا الزمان الذي لا ازال معهُ في حالة حربية ولا تزال العلائق بيننا مقطوعة والاسباب مصرومة لا ينقاد لي ولا انقاد لهُ . لا ينزل على حكمي ولا ازل على حكمهِ . يطاردني عن نيل ما اريد واطاردهُ . يغالبني واغالبهُ . حالة الفها منذ عرفتهُ وعرفني . لا يلقاني الا محتفلاً ولا القاهُ الا غير مكترث والنصر بيد الله . اني لا احب القتال ولكن ماذا اعمل والدهر يسومني خطة خسف ويحاول ان يقنعني من الغنيمة بعد الكدّ بالقفل ومن الحياة بالسهم الاخيب . والذي يطمعهُ ما يرى من صغر النفوس ووهن العزائم وسلاسة القياد ومرض القلوب وتكالب هذا السواد الاعظم على الحياة واعتمادهِ من الصفات الدهاء والمكر والتلوّن والتملق . ترى الرؤوس مرفوعة فتظن ان هنالك شمماً واباء فاذا عرضت الاطماع تمرغت الجباه في ردغات الذل والهوان وصارت الرؤوس في مواطىء النعال . ترى ظواهر جميلة فعند اول عصفة تتكشّف لك عن بواطن بشعة مشوهة ترى علائم الاخلاص وملامح الصدق ثم لا تلبث الايام ان تكشف لك القناع عن حقائق ان تبدُ تسؤ . .

لقد سرقني من ابناء هذا الزمان من ارخصوا نفوسهم فاغليت وخففوا رؤوسهم فاعليت . سرقني الذين عملت فجنوا وغشيت الوغى فغنموا وثبت على مبدإي فتغيروا . الذين طمعوا عن دناءة فقنعت عن اباءة . سرقني اولئك الرؤساء الذين ساوموني على ضميري قبل ان يساوموني على عملي . الذين لم يكن يهمهم من عملي الا ان اقبل اذيالهم واعلن عبوديتي لهم . . .

لا لا . لم يسرقني الدهر ولا ابناؤهُ ولا رؤساؤهُ حتى ولا الذين تسوروا داري ونقبوا جداري . لم يسرقني احد من هؤلاء

لم يسرقني غير نفسي واخلاقي فانا السارق المسروق والسلام

خليل السكاكيني

ناظر القسم العربي بالمدرسة العبيدية